مغاربة اليونان..
صرخة استغاثة

جاءت الانتخابات البرلمانية اليونانية لتخلط أوراق الاتحاد الأوربي بخصوص خطة التقشف التي اتبعتها البلاد لتفادي الإفلاس. وضع اقتصادي هش فرض على العديد من المهاجرين تغيير وجهتهم، ومنهم عدد كبير من المغاربة؛ غير أن آخرين منهم يعيشون هناك وضعية التشرد والفاقة الكبيرة ويستغيثون من خلال «الآن»، فهل من مغيث؟

محمد مسعاد
موفد «الآن» إلى أثينا

أضحت قصة «البيضاوية» وابنتها إحدى القصص الغريبة لمغاربة اليونان. سيدة تطل على عقدها الخامس وابنتها، التي لم تصل بعد سن الرشد القانوني، قررتا فجأة ترك الدار البيضاء خلفهما و«الحريك» إلى اليونان عبر تركيا. لم تكن البيضاوية تفكر، في يوم من الأيام، بهذا المصير، غير أن «الكبدة صعيبة»، كما يقول المغاربة. هكذا وجدت نفسها تتبع هذا الطريق خوفا على ابنتها، التي كانت تريد أن تجرب حظها في الوصول إلى الفردوس الشمالي. ولأن عود البنت لا يزال غضا طريا، وخوفا عليها من المخاطر، قررت الأم أن ترافقها، وذلك بعدما طمأنتها البنت بأن الطريق معبدة إلى أوربا، ولا تحتاجان سوى إلى تذكرة سفر إلى تركيا التي يدخلها المغاربة دون تأشيرة، وبعدها السفر أو «الحريك» إلى اليونان الذي لا يحتاج إلا إلى بضعة يوروهات وقطع أميال قليلة من الطريق.

تمكنت البيضاوية وفلذة كبدها من الوصول إلى اليونان، غير أنهما لم تجدا الفردوس، بل وجدتا بلدا يعاني الويلات والأزمات الاقتصادية والبطالة والاحتجاجات. لم تقف صدمة البيضاوية وابنتها عند هذا الحد، بل وجدتا نفسيهما من دون مأوى ولا مال، إضافة إلى مأساة أخرى حوّلت حياتهما إلى جحيم جراء انقضاء الدواء الذي تستعمله الأم لمواجهة أمراضها النفسية والعصبية. يقول عابد بن براهيم، رئيس جمعية العمال المغاربة في اليونان، في تصريح هاتفي لـ«الآن»، إنها عاشت شهرين من الجحيم بسبب انقطاعها عن تناول المسكنات، مما أجبره على أن يربط الاتصال بـ«أطباء بلا حدود» الذين ساعدوها بعد جهد جهيد.

غيض من فيض

ليست قصة البيضاوية وابنتها سوى غيض من فيض الحكايات المؤلمة لمغاربة وجدوا أنفسهم ضحية رغبة جامحة في الهجرة من المغرب إلى «الألدورادو» الشمالي كيفما اتفق. حكايات لشباب وشابات وجدوا أنفسهم ضحايا مافيات التهريب التي تنشط كثيرا على الحدود التركية اليونانية. محسن حمومي واحد من هؤلاء الشباب المغربي، يبلغ من العمر 26 سنة، ومستواه الدراسي لم يتجاوز السنة الرابعة إعدادي، وينحدر من مدينة فاس. ويقيم محسن في أثينا بطريقة غير شرعية منذ 4 سنوات ويعيش وضعا صعبا. وحين سألته «الآن» عن وضعيته، أجاب بلكنة جبلية: «آش ماشي نعمل أ الحبيب ديالي. نهار نخدم وشهر نكلس. الواحد مخزون هنا أو صافي». يروي محسن حكايته بحشرجة في صوته، وإن حاول إخفاءها.. ينحدر من أسرة لا تعيش الضنك، وأغلب أفرادها ينشطون في التجارة، وجاء إلى اليونان عبر تركيا، قبل أربع سنوات، بعدما أدى ألفي يورو لمافيا «الحريك». يكتري مع ثلاثة شبان من المغرب هم الآخرون يقيمون بطريقة غير شرعية بيتا أو جحرا، كما سماه محسن، بنحو 200 يورو. ولا يختلف وضع محسن عن وضع كريم، وهو شاب يبلغ من العمر 31، وينحدر من مدينة سلا. الفرق الوحيد بينهما هو أن كريم بحوزته وثيقة رسمية تثبت لجوءه إلى اليونان لأسباب إنسانية. كريم لم يتجاوز مستواه الدراسي السنة الأولى إعدادي، غير أنه تلقى تكوينا مهنيا في الحلاقة، وقد سبق له أن قضى سبع سنوات في ليبيا، قبل أن ينتقل إلى اليونان عن طريق تركيا أيضا بمبلغ يصل إلى ألفي يورو.

أزمة اليونان ألجأت المهاجرين المغاربة إلى الاقتيات على المساعدات الإنسانية

تجاهل

عدم تعاون القنصلية المغربية

تسجل «الآن» أن القنصلية المغربية في أثينا لم تقدم لها يد العون في معرفة مزيد من التفاصيل حول الوضع الكارثي الذي يعيشه المغاربة في اليونان، أو على الأقل تمكيننا من الإحصائيات الرسمية لعدد المغاربة هناك التي تقدر بعض الجهات غير الرسمية أنهم نحو 2000 نسمة، أو معرفة عدد المغاربة الذين اختاروا طريق العودة إلى بلدهم. فعلى الرغم من أننا وجهنا فاكسا نطلب فيه مد يد العون للتعريف بهذه الكارثة التي يعيشها المغاربة هناك، فإننا لم نتلق أي رد في الموضوع اللهم رد سكرتارية القنصلية أنها أرسلت الفاكس إلى الرباط وتنتظر الرد من هناك. يأتي كل هذا والمغرب قد اختار طريقا جديدا بدستور جديد يقر بالحق في المعلومة. ●

وجبات الكنائس

«نطلب المساعدة، كما يساعد كل العالم اليونانيين ويتعاطف معهم؛ وذلك بما استطعتم، سواء من أغذية أو ملابس أو أموال (ولو بيورو واحد). فالمغاربة، هنا، في حالة متدهورة جدا، ولم يعد بمقدورهم تقديم المتطلبات الأساسية لعائلاتهم وخصوصا أطفالهم، إلى أن تمر هاته الأزمة، والله لا يضيع أجر المحسنين». هذا جزء من الرسالة التي توصلت بها «الآن» من جمعية العمال المغاربة في اليونان، والتي يرأسها عابد بن براهيم، مغربي في منتصف الأربعينيات من عمره، يقيم في اليونان منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي، وهو مهندس ميكانيكي خريج مدرسة أثينا للبوليتيكنيك.

وفضلا عن تداعيات الأزمة التي قلّصت كثيرا من فرص العمل، تشير كل الشهادات التي تلقتها «الآن» إلى أن الوضع سيئ للغاية، حيث يعيش العديد من المغاربة بدون مأوى في الشوارع، ويصطفون أمام الكنائس التي تقدم وجبة ساخنة واحدة في اليوم للمشردين. وقد زاد الوضع سوءا كون أن المهاجرين من بعض الجاليات القادمة من بلدان بعيدة عن اليونان، خاصة من الباكستانيين وبعض الآسيويين الآخرين، قد أصبحوا يعرضون خدماتهم لليونانيين بأسعار زهيدة جدا، وهو ما ينعكس كثيرا على أفراد الجاليات القادمة من شمال إفريقيا في إيجاد فرص العمل، خاصة في ظل تأثر سمعة بعض هذه الجاليات، حسب الشهادات، بأعمال السرقة والنشل التي يرتكبها بعض الأفراد المحسوبين على هذه الجاليات لانقاء التشرد.

> تمكنت الأم وابنتها من الوصول إلى اليونان، غير أنهما لم تجدا الفردوس، بل وجدتا بلدا يعاني الويلات.

جهل بالجغرافيا

ويفضل العديد من المغاربة الهجرة إلى اليونان لسهولة الوصول إليها عبر تركيا؛ إذ أصبحت، منذ انضمامها إلى الاتحاد الأوربي، بؤرة جذب لعدد من المغاربة المراهنين على الهجرة، بعد الصعوبات التي عرفتها الهجرة المباشرة إلى إسبانيا وإيطاليا. وتجهل معرفة عدد المغاربة الموجودين في اليونان بالنظر إلى حداثة هذه الهجرة، فضلا عن كونها عند الكثيرين مجرد محطة للعبور إلى بلدان أوربية أخرى؛ غير أن الطامة الكبرى هي أنهم يجهلون أن اليونان يفصلها بحر عن دول الاتحاد الأوربي، والوصول إلى هناك يتطلب إحدى مغامرات سندباد. وهو الأمر الذي دفع بالكثيرين إلى البقاء في اليونان، خاصة أن هذه الأخيرة لم تهتم يوما بالمهاجرين الموجودين على أراضيها، لأنها هي الأخرى تعيش على مساعدات الاتحاد الأوربي، إلى أن حلت هذه الأزمة القاسية التي تهدد بإخراج اليونان من الاتحاد. عندها وجدت اليونان أنها أمام أزمات متعددة. فبالإضافة إلى مشاكلها الاقتصادية الهيكلية، هناك العديد من المهاجرين غير الشرعيين يجولون في البلاد دون حسيب أو رقيب، كما سبق أن صرح وزير الداخلية باباندريو.

«قطران بلادي ولا تشرد اليونان»

الأزمة المستعرة في اليونان أرغمت العديد من المغاربة على العودة إلى ديارهم، إذ إن استمرار مقام كثير منهم باليونان أصبح في الوقت الراهن أمرا مستحيلا. ويشير العديد منهم إلى أن تداعيات الأزمة المتفاقمة التي يعرفها هذا البلد قد بددت آمال الكثيرين، وجعلتهم في الآونة الأخيرة يبحثون فقط عن الحصول على ما يمكنهم من أداء تذكرة الطائرة للعودة إلى المغرب. وحسب ما صرح به لنا رئيس جمعية العمال المغاربة في اليونان، فإن حوالي 1500 شخص حصلوا في الثلاثة أشهر الأخيرة على تصريح بالسفر من السفارة المغربية للرجوع إلى المغرب. ومما شجع العديد من المهاجرين السريين، ومنهم المغاربة، على اختيار طريق العودة بدل حياة التشرد أن السلطات اليونانية ألغت قرار إدراج من يقرر بشكل إرادي العودة إلى بلده في اللائحة السوداء وتأدية غرامة مالية، فضلا عن إسقاط المتابعة القانونية في حقه. وعلى عكس هؤلاء الذين فضلوا «قطران» المغرب على التشرد في اليونان، يبقى محسن متشبثا بأمل خادع بحياة أحسن، أو ربما كما قال «هانا رجعت للمغرب آش غاندير. على المغرب إيجاد حل للبطالين هناك أما نحن فخرجنا خرجنا». وعلى خلاف محسن، يظل كريم يتحسر على أيام ليبيا التي قضى فيها سبع سنوات اشتغل فيها كحلاق، إذ يتذكر قائلا: «الوضع في ليبيا أفضل بكثير من الوضع في اليونان». لربما يقصد ليبيا أيام العقيد. وهل سمع أصلا بالربيع العربي وهزاته التي قلبت المنطقة رأسا على عقب؟ ●